إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الأولى – العدد الرابع – شتاء ١٣٩٠ش/كانون الأول٢٠١١م

# بدر شاكر السياب وأسطورة تموز بين الأساطير

**يوسف هادى بور نهزمى***
**نيكتا صميمى****

## الملخص

قد استخدم بعض الشعراء المعاصرين الأساطير عامة، وتموز الأسطورة البابلية خاصّة فى قصائدهم تعبيراً عن الانتعاش والحياة بحيث سموا بالشعراء التمّوزيين. وفى صدر هذه القائمة، بدر شاكر السياب الشاعر العراقى المعاصر الذى استخدم الأساطيرَ رموزاً فى أشعاره بصورة لم يستخدمها شاعر آخر. يشير بدر بعض الأحيان إلى الرموز مباشرة، وحيناً آخر يرمز إلى بعض خصائصها كمقدمة للولوج إلى صلب الموضوع، ثم يذكر اسمها بصراحة ووضوح. وأمّا الشىء الذى يجب أن لاننساه أبداً فهو أنّ السياب كان ناشطاً سياسياً يحاول لأجل الثورة وكان قلمه سلاحه فكان يختار أساطير تساعده على بيان أفكاره وآرائه لمواصلة الكفاح السياسى. وكانت أسطورة تموز من الأساطير التى تذكرّه دائماً الثورة وتطور الأوضاع السياسية وتوحى إليه الفناء لطلوع أيام بيضاء.

**الكلمات الدليلية:** بدر شاكر السياب، الأسطورة، الرمز، تمّوز، أدونيس.

---

*. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج– أستاذ مساعد.
**. خريجة جامعة آزاد الإسلامية فى كرج.
التنقيح والمراجعة اللغوية: د.مهدى ناصرى

Hadi1339@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٦/٢٧هـ. ش
تاريخ القبول: ١٣٩٠/٧/١٤هـ. ش

Archive of SID
www.SID.ir

**المقدمة**

«ولد بدر شاكر السياب قرب البصرة فی قرية جيكور سنة ۱۹۲۶م ونشأ يتيماً بسبب وفاة أمه[۱]. فكان يبحث فی وجوه النساء عن ملامح وجه أمّه. فلم تقع عيناه إلا على بسمات توحی بالرّياء واللامبالاة والنفور ولم تستطع جدّته لِأبيه تعويض الحرمان الذی كان يعانيه على الرغم من الحنان والحب اللذين غمرته بهما. من هنا سيبقى بدر شاكر السياب مشدوداً إلى أمّه بعد ولادته وستظل حية فی ذاكرته على الرغم من رحيلها المبكّر.» (بطرس، لاتا: ۱۴ و۱۵) يستفيد السياب من الكلمات التی تعبّر عن أمّه الغائبة حيث يقول:

«كأنّ طفلاً بات يهذی قبل أن ينام
بأنَّ أمّه– الّتی أفاقَ مُنذ عام
فَلَم يجِدها، ثمّ حينَ لَجَّ فی السؤال
قالوا له: بعد غدٍ تعود ...
لابُدّ أن تعود.»

(شاكر السياب، ۲۰۰۰م، ج۱: ۴۷۵ و۴۷۶)

«طلب الشاعر المرأة لما بدأ يتفتح على الحياة، فحلم بها فی اليقظة والمنام ثم جاء بدر بغداد ليكمل دراسته. ولكن بسبب انتمائه إلى الحزب الشيوعی، تحولّت حياته إلى سلسلة من الصراعات مع السلطة. ففصل من عمله غير مرّة وتسكّع فقيراً فی الشوارع، يطوی القلب على جرحين: جرح الفقر وجرح الهوى. ثم جاء بيروت بقصد الاستشفاء، فدخل الجامعة الأميركية فی ۱۸ نيسان ۱۹۶۲م وكانت فكرة الموت تلحّ عليه وأشار التشخيص إلى مرض فساديّ فی الجهاز العصبی وإلى تصلّب جانبی ضموری فلم يعط أدوية.» (بطرس، لاتا: ۴۳) كانت المرحلة الأخيرة من حياة بدر مرحلة الفقر والحزن حيث خيّم عليه شبحُ الموت فأخذ ينظر إلى كلّ شی من خلاله حتی توفّی سنة ۱۹۶۴م.

۱. كان فی السادسة من عمره عندما ماتت أمّه سنة ۱۹۳۲م.

Archive of SID

www.SID.ir

**حياته الأدبية**

نستطيع أن نميّز أربع مراحل فی حياة بدر وفی شعره:

«۱. الأولی: الرومانسية ۱۹۴۳م- ۱۹۴۸م.

۲. الثانية: الواقعية ۱۹۴۹م - ۱۹۵۵م.

۳. الثالثة: التموزية أو الواقعية الجديدة ۱۹۵۶م- ۱۹۶۰م.

۴. الرابعة: الذاتية ۱۹۶۱م-۱۹۶۴م.» (علوش، ۲۰۰۰م: ت-ض)

**بدر الرومانسی**

أخذ بدر فی هذه المرحلة يعشق النساء وأحبّ نساء كثيرات بدلاً عن عشق أمه المفقود. كما يقول:

«سأروی علی مَسمعيکِ الغداة ... أحاديثَ سمَّيتُهنّ الهَوَی

وأنباءَ قلبٍ غريق السراب ... شقی التدانی، كئيب النوی

أصيخی.... فهذی فتاة الحقول ... وهذا غرام هناک انطوی

أتدرين عن ربّة الراعيات؟ ... عن الريفِ؟ عمّا يكونُ الجَوَی؟»

ثمّ يواصل كلامه ويقول:

«أشاهدت يا غابُ رقصَ الضياء ... علی قطرةٍ بينَ أهدابها؟

ترى أهی تبكی بدمع السماء ... أساها وأحزان أترابها؟

ولكنّها كلّ نَور الحُقول ... ودَفءِ الشذی بين أعشابها

وأفراح كل العصافير فيها ... وكل الفراشات فی غابها»

(شاكرالسيّاب، ۲۰۰۰م، ج۱: ۱۴ و۱۵)

**بدر الواقعی**

فی هذه المرحلة من حياته تحول إحساسه الفردی بالفاجعة إلی إحساس بفاجعة الجماعة مؤقتا كان الموت فيما مضی، موته موت أمه فقط، أما الآن فقد أصبح الموت

www.SID.ir

عامة موت الآخرين. نستطع أن نبيّن موقفه هذا من خلال قصائده: فجر السّلام، حفّار القبور، الأسلحة والأطفال. يشير بدر شاكر السياب فی كل من هذه القصائد على اختلافها إلى أنّ مصير الإنسان ليس مصيراً فردياً منعزلاً، بَل إنه جزء من المجتمع والتاريخ. حيث يقول:

« واخيبتاه! ألن أعيش بغير موت الآخرين؟
والطيبات: من الرَّغيف، إلى النساء، إلى البنين
هی منّة الموتى، علیّ. فكيف أشفِق بالأنام؟
فلتمطرَنّهم القذائفُ بالحديد وبالضّرام
وبما تشاء مِن انتقام:
مِن حُمياتٍ أو جذام
(المصدرنفسه: ۵۵۰)

## بدر التموّزی

كان بدر يميل فی هذه المرحلة من حياته إلى استخدام الأساطير والاستفادة من الرموز فی أشعاره، وكان يريد انتقال ما فی ذهنه فی قالب أسطوری أو قالب رمزی إلى ذهن القارئ إلى حدّ ما اتصل بالشعراء التموزيين. لم يستعمل شاعر عربی الأسطورة والرمز كما استعلمها بدر. حيث يقول فی إحدى قصائده:

«تموّز هذا، أتيس[۱]
هذا، وهذا الربيع
يا خُبزنا يا أتيس،
أنبت لَنا الحبّ وأحی اليبيس.»
(المصدرنفسه: ۴۳۴)

۱. أتيس يقابل تمّوز الإله البابلی عند سكان آسيا الصغرى القدماء. يحتفل بعيده فی الربيع، حيث يربط تمثاله على ساق شجرة. وحين تبلغ الحمية أوجها عند أتباعه وعابديه، يجرحون أنفسهم بالسيوف والمدى حتى تسيل دماؤهم قرباناً دلالة على الخصب. (شاكرالسياب، ۲۰۰۰م، ج۱: ۴۳۴)

Archive of SID

www.SID.ir

**بدر الذاتی**

كان بدر فی المرحلة الأخيرة من حياته فقيراً ومحزناً. ولقد واجه قدره وأصبح يدافع عن مجرد بقائه. الموت لم يعد جولة ولاحُبّاً ولافداءً ... وأصبحت الحياة فی نظره موتاً فحسب. كما يقول:

«أهكذا السنون تذهبُ؟
أهكذا الحياة تنضبُ؟
أحسّ أننی أذوبُ، أتعبُ،
أموت كالشّجر.»
(المصدرنفسه: ١۴٨)

**الأساطير فی شعر السياب**

**أ. أسطورة عشتار**

عشتار[١] هی إلهة الخصب أو الأمّ الأسطوری وهی عاشقة لتموز، الأسطورة البابلية التی تعتبر رمزاً لإعادة الحياة إلی الأرض. يتحدث الشاعر عن هذه الأسطورة فی إحدی قصائده تحت عنوان «أنشودة المطر» حيث يقول:

«عيناک غابتا نخيل ساعة السَحَر،
أو شُرفتا راح ينأی عنهما القمر
عيناک حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء ... كالأقمار فی نهَر
يرجّه المجذاف وهناً ساعة السَّحَر
كأنّما تنبض فی غوريهما، النّجوم ...»
(المصدر نفسه: ۴٧۴)

١. ايشــتار أو عيشــتر: Ishtar، وأمّا فی ســورية وفلســطين فتذهب هذه الكلمة: عســترته Astarte وعشتروت Ashtarath.(ساندرز، ١٣٨٧ش: ٢٥٥)

Archive of SID

www.SID.ir

لم يذكر الشاعر فيها اسم الإلهة مباشرة ولكن الصفات المذكورة هى الصفات التى تختصّ بهذه الإلهة. يبدو فى بداية الأمر أنّ الشاعر يصف حبيبته وعشيقته عندما يذكر هذه الأوصاف الظاهرية ولكنّه عندما يتقدم فى وصفه يفهم القارئ بأنه يتحدّث عن أسطورة عشتار فى قالب الحبيبة، لأنّ خصائص هذه السيدة الأسطورية هى إعادة الانتعاش والخصب إلى الأرض ونرى «الانبعاث الأسطورى فى القصيدة عندما تبتسم إلهة الخصب. حيث يقول: عيناک حين تبسمان تورق الكروم.» (حلاوى، ۱۹۹۴م: ۴۶) وكأنّ هذه الأسطورة هى وطن الشاعر والشاعر يريد إعادة الخصب والحياة إلى وطنه.

**بـ أسطورة سربروس**

«سربروس هو الأسطورة اليونانية. وهو الكلب الذى يحرس مملكة الموت فى الأساطير اليونانية، حيث يقوم عرش «برسفون[۱]» آلهة الربيع بعد أن اختطفها إله الموت وقد صَوَّره دانتى[۲] فى الكوميديا الإلهية، حارساً ومعذبا للأرواح الخاطئة.» (داود، ۱۹۹۲م: ۲۸۸)

وأما بدر شاكر السياب فيشير إلى هذه الأسطورة فى قصيدته سربروس فى بابل ويقول:

«لِيعو، سَربروس فى الدروب
فى بابل الحزينةِ المهدّمه
ويملأ الفضاء زمزمه،
يمزِّقُ الصِغارَ بالنيوب، يقضمُ العظام
ويشرب القلوب...»
(شاكرالسياب، ۲۰۰۰م، ج۱: ۴۸۲)

۱. پرسفونى Persephone: فى الميثولوجيا اليونانية، إبنة كبيرة لإلهة زيوس Zeus. اختطفها پلوتو وحملها إلى العالم السفلى. (البعلبكى، ۱۹۹۲م: ۹۹)
۲. Dante (۱۲۶۵م–۱۳۲۱م) كبير شعراء ايطاليا وأهم آثاره «الكوميديا الإلهية» وهى ملحمة يدور موضوعها حول رحلة خيالية. (المصدر نفسه: ۱۸۵)

Archive of SID

www.SID.ir

فی الحقيقة يشير بدر هنا إلى حاكم العراق. سربروس هو حاكم مدينة الشاعر وبابل هنا رمز للعراق. تُعدّ أسطورة سربروس رمزا للفقر والفناء والغوغائية التی تنشر الدمار فی العراق، بلاد الشاعر، بحيث يشير إلى الكلب الذی يحرس مملكة الموت، كأن الربيع والحياة مقصوران على يد هذا الكلب. ينتظر الشاعر فی هذه القصيدة المعجزة أو الحركة التی تقوم بنجاة بلاده من الموت والفناء ثم يشير غير مباشرة إلى الأسطورة اليونانية «برسفون» إله الربيع وهی التی تنجّی العالم من الموت.

**ج. أسطورة السندباد أو ديسيوس**

تعتبر أسطورة السندباد رمزا لمن رحل من دياره ويتمّنى العودة بالانتعاش والحياة والأمل. يستخدم الشاعر هذه الأسطورة فی قصيدة تحت عنوان مدينة السندباد ويقول فيها:

«جوعان فی القبر بلاغذاء
عريان فی الثلج بلارداء
صرختُ فی الشتاء:
أقضّ يا مَطر
مضاجع العظام والثلوج والهباء
مضاجع الحَجَر،
وأنبتِ البذورَ لتفتّح الزهر
وأحرقِ البيادِرَ العقيمَ بالبروق.»
(المصدرنفسه: ۴۶۳)

كأنّ الشاعر فی بداية أمره يقوم بوصف مدينة سندباد التی كانت تعانی من الفقر والمجاعة كما يأمر سندباد بالسفر حتی يحصل على مايتمنّاه بالدخول فی الأخطار ويعتقد بأنَّ المفروض على الإنسان أن يرحل الديار وأن يجتاز البحار. ثم يواصل كلامه ويخاطب سندباد ويقول له:

Archive of SID

www.SID.ir

«يا سند باد أما تعود؟
كاد الشباب يزول، تنطفىء الزنابق فى الخدود
فمتى تعود؟»
(المصدرنفسه: ۲۳۱)

فعلى حسب رأى بدر شاكر السياب أسطورة سندباد هى رمز للذى رحل من دياره ويتمّنى العودة بالانتعاش والحياة والأمل.

**د. أسطورة أورفيوس**

ومن الأسماء الأسطورية التى استخدمها الشاعر فى هذه القصيدة هما: «ايكار[۱]» و«أورفيوس» وقد ذكر الشاعر فى حديثه الأوّل عن شُبّاك وفيقة وهى رفيقته. حيث يقول:

«ايكار يمسّح بالشمس
ريشاتِ النسر وينطلق،
إيكار تُلقّفه الأفق
ورماه إلى اللُجج الرمس»
(المصدر نفسه: ۱۱۷)

وتبدو الصورة بعيدة الصلة بما حولها إلا أن شباك وفيقة هو نفسه ايكار وأنه قد نأى عن الأعين المنتظرة ثم سقط فوارته اللجج أى ضاع من دنياه إلى الأبد وأما أورفيوس فإنه يمثله لأنه شق طريقه بالحنين والغناء وفتح لأنغامه مغالق الفناء. السياب وقف عند دار جده فى جيكور فرأى عالم الفناء نفسه مع أنه ظلّ طوال حياته يمنح جيكور الضياء وليكسوها الرواء بشعره.

**هـ. أسطورة تموز**

إنّ قصيدة «أنشودة المطر» كانت فاتحة عهد جديد من الاتكاء على رمز «تموز»

۱. ايكار ابن ديدالوس، جنح نفسه هو وأبوه بأجنحة من شمع وطارا من تيه مينوس فى كريت، ولكن ايكار اقترب كثيراً من الشمس فذاب جناحاه وسقط فى البحر ومات غريقاً. (عباس، ۱۹۷۸م: ۳۷۶)

Archive of SID

www.SID.ir

أو «أدونيس»، إذ إن القصيدة لاتعدو أن تكون فی سياقها ترجمة لتلک الأسطورة دون تصريح برمز الخصب. كان لبدر شاكر نوع من الإحجام عن استعمال هذه الأسطورة» (عباس،۱۹۷۸م: ۳۰۳). كما وصلنا إلى هذه النتيجة فی الصفحات السالفة أنه يشير إلى بعض خصائص أسطورة تموز كمقدمة ثم يذكر اسمها بصراحة و وضوح. وبعض الأحيان يشير إلى بعث الأمّة وتحرير بلده العراق. فجيكور بعض الأحيان هو تموّز أو رمز للاخضرار أو رمز للحياة. كما يقول:

«وجيكور خضراء
مسّ الأصيل
ذرى النخل فيها
بشمس حزينه.
ودربی إليها كومض البروق،
بدا و اختفی ثم عاد الضياء
فأذكاه حتی أنار المدينه»

(شاكرالسياب، ۲۰۰۰م، ج۱: ۴۱۸)

ومن خلالها يشير إلى بعض صفات أسطورة «تموز» كما يشير إلى قصة موت تموز على يد الخنزير البرّی حينما يقول فی بداية القصيدة:

«ناب الخنزير يشقّ يدی
ويغوص لظاه إلى كبدی ... »

(المصدرنفسه: ۴۱۰)

ثم يواصل كلامه ويقول:

النَور سيورق والنوُر.
جيكور ستولد من جُرحی،
من غصّة موتی، من ناری،
سيفيض البيدرُ بالقمح ...»

Archive of SID

www.SID.ir

(المصدرنفسه: ۴۱۱)

و. المسيح وتمّوز

ينظر بدر شاكر السياب إلى «المسيح» و«تموز» كأسطورتين مقتولتين تمنحان الوعى والحياة للناس بعد موتهما. كأن المسيح يبدو صورة أخرى من تموّز الذى يقتل فيبعث. وتُعتبر قصيدة «المسيح بعد الصلب» هى إحدى قصائده التى تجسّد هذا القبول بالتضحية بل هذا الإيمان بالبعث من خلال التضحية حيث يقول:

«متّ كى يؤكلُ الخبزُ باسمى،
لِكى يزرعونى مع الموسم،
كم حياة سأحيا: ففى كلّ حفرة
صرتُ مستقبلا، صرتُ بذرة،
صرت جيلا من الناس: ففى كل قلب دمى
قطرة منه أو بعض قطرة»

(المصدرنفسه: ۴۵۹)

ز. أدونيس أو تموز

إنّ أدونيس أو تموّز عند السياب هو إله الخير ولكنّه عندما أصيب باليأس من الظروف السائدة على مجتمعه يخاطب أدونيس ويقول:

«أهذا أدونيس، هذا الحوّاء؟
وهذا الشحوبُ، وهذا الجفاف؟
أهذا أدونيس؟ أين الضياء؟
وأين القطاف؟»

(المصدرنفسه: ۴۶۵ و۴۶۶)

كأن الخيبة قد سيطرت على الشاعر إلى حدّ لايرى الخصب والحياة إلا سراباً. ثم

Archive of SID

www.SID.ir

يشير إلى قتل تموّز على يد الخنزير البرّى حيث يقول:

«تموّز يموت على الأفق

وتغور دماه مع الشفق»

(المصدر نفسه: ٣٢٨)

**النتيجة**

توصّلنا خلال هذا المقال إلى النتائج التالية:

كان يعانى بدر شاكر السياب من الآلام الروحية وذلک بسبب فقدان أمّه فى السادسة من عمره. فقد لجاء إلى نساء كثيرات تعويضاً لهذا الحرمان دونَ أن يفوز فى هذا اللجوء. إنه كان متأثراً من الأدباء الغربيين من أمثال شكسبير، مِلتون، وت.س.اليوت. وفى هذه المرحلة تعرّف أكثر من قبل على مفهومى «الموت» و«الحياة».

استفاد من الأساطير لبيان أحاسيسه الداخلية ومشاكله الخارجية. ومهما نقرأ قصائد هذا الشاعر المبدع المتجدّد نتعرف عليه أكثر من قبل و نطّلع على همومه وآلامه وقلقاته وعلى كلّ ماجعله أن يكون مختلفا من الشعراء الآخرين دونَ أن يكون غافلاً عن أحوال مجتمعه قط.

إنّه قال الشعر ليكون قلمه سلاحه طوال حياته. وقد كان بحكم موقعه الزمنى، شديد البحث عن الرمز وكانت حاجته إلى الرمز قوية بسبب نشوئه فى أزمات وتقلبّات نفسية وجسمية وبسبب التغييرات العنيفة فى المسرح السياسى بالعراق حينذاک. ولهذا يصلح أن يكون نموذجاً للشاعر الذى يطلب الرمز فى قلق ومن يبحث عن مُهدّئ لأعصابه المستوفزة.

وفى كيفية استخدامه الأساطيرَ تجدر الإشارة إلى أنه استخدمها بطريقتين:

الأولى: الإشارة العابرة أو الإشارة إلى بعض خصائص تلک الأسطورة دون أن يشير إلى الأسطورة نفسها.

الثانية: الإشارة المباشرة بالأساطير حيث يذكر اسم الأسطورة وذلک كما أسلفناها.

Archive of SID

www.SID.ir

## المصادر والمراجع

بطرس، انطونيوس. لاتا. *بدر شاكر السياب*، شاعر الوجع. لانا.

البعلبكی، منير.۱۹۹۲م. *معجم أعلام المورد*. بيروت: دارالعلم للملائين.

حلاوی، يوسف. ۱۹۹۴م. *الأسطورة فی الشعر العربی المعاصر*. بيروت: دار الآداب.

داود، أنس. ۱۹۹۲م. *الأسطورة فی الشعرالعربی الحديث*. بيروت: دارالمعارف.

ساندرز، ن.ک. ۱۳۷۸ش. *بهشت ودوزخ در اساطير بين النهرين*. تهران: انتشارات كاروان.

شاكرالسياب، بدر. ۲۰۰۰م. *الأعمال الشعرية الكاملة*. بيروت: دارالعودة.

عباس، إحسان. ۱۹۷۸م. *اتجاهات الشعر العربی المعاصر*. الكويت: مجموعة العالم المعرفة.

عباس، إحسان. ۱۹۷۸م. *بدرشاكرالسياب، دراسة فی حياته وشعره*. بيروت: دارالثقافة.

Archive of SID

www.SID.ir